في أعماق قلبي . . .
كل يوم . . . وكل يوم
يعرضون عليَّ آلاف السمراوات
يقولون ويقولون :
مَن يعشق . . .
هذه الفاتنة الحسناء الناضجة ؟
إله الحب يوليه الادبار
ويُكَحِلُ عينيه بشراراة النار
وفي كل ليلة . . .
تُعَلِقُهُ في مفترق الطرق
وذلك حين تمر العجوز الساحرة
لأجل أن ، تمص دمه
مع الصباح . . .
تقذف به في زنزانة مظلمة
مليئة بالاشواك . . .
يقولون ويقولون !
بأن حب هذه الفاتنة الحسناء
حبٌ سري . . .
لا في القِمَة ، ولا في القُمَة
ومن يطرف لها عيناً
تعاديه العفاريت . . .
ومع هذا ، هناك حب كبير يدفعني
بأن أتوسد صدرك
وأنسج مفردات أغنية عشق
من عطر شفاهك . . .
هناك حب كبير يدفعني
أن يكون مصيري . .
نهايتي . . .
أن أدفن في صدرك
أن أُدفن في صدرك

قصة كردية

# وقفة من خلال صور ثلاث


**قصّة : محمد نوري توفيق**

**ترجمة : محمد صابر محمود**


**الصورة الاولىٰ :**

عند إشاراقة كلّ صباح ، كانت تبسط لبّابتها[1] علىٰ أرضيّة أحد الدكاكين ، عارضةً عليها ، صنوفَ الأمشاط ، والملاعق الخشبية ، وأشكالاً من الشوابك ، وأمازك السجائر ، وقوالب (الكليجة) ، وبعضاً من الأواني المصنوعة باليد . منضّدةً إيّاها تنضيداً بديعاً ، بحيث كان منظرها يلفت انتباه معظم المارّين من ذلك المكان ؛ فيتوقّفون لِلحظاتٍ ، يمعنون النظر في تلك التحف الجميلة ، حتىٰ لو لم يكونوا ممّن يرغبون في اقتنائها .

أمّا هي فقد كانت إمرأةً ، مديدةَ القامة ، ذات جسد غضّ لَدِن ، وبشرةٍ بيضاء مشربةٍ بالحمرة ، مفرطة الشفافية . . لو تأملتها بأمعان لآستحوذتَ علىٰ دخيلة نفسها ، ولتمكنتَ من قراءة ما فيها بكلّ سهولةٍ ويسر . . لذا كانت الأكثرية الساحقة من سكنة المنطقة ، يتعاطفون معها . . يشاركونها في مشاغلها ، وهمومها ، ممّا دفعهم إلىٰ تلقّف تحفها المنضودة فوق لبّابتها ، وإنْ

لم يكونوا بحاجة ماسّة إليها ، غير أنهم كانوا يقتنونها لمجرّد تزيين بيوتهم ، أو وضعها فوق الموائد ، أو في أماكن بارزة ، ومعيّنة .

هذا الأقبال الشديد ، حدا بـ (نه شميل) ألاّ تطيلَ المكوث كثيراً ، حيث كانت في معظم الأحيان ، تلملم ما تبقّىٰ في لبّابتها ، وتغلق دكانها ، لتعود إلىٰ البيت قبل انتصاف النهار .

إنّ سوق (نه شميل) الرائجة هذه دفعتْ ببعض الأشخاص ، ممّن كانوا يطمعون في محتويات لبّابتها ، أنْ يفكّروا ملياً في شرائها هي بالذات ، وفي شراء الذين كانوا يصنعون لها تلك الحاجيات أيضاً ، وذلك لقاء ثمن باهض جداً ، ومقابل حياة رغيدة ، مرفّهة . . أوعزوا – بدافعٍ من نيّتهم المبيّتة هذه – إلىٰ واحدٍ منهم ، كي يحمل إليها تلك البشرىٰ ، واضعاً إيّاها كصفقة مغرية في متناول يدها ، علىٰ أن تتضمن شرطاً واحداً بسيطاً للغاية ، ألا وهو بقاؤهاهي ومَنْ معها مدىٰ الحياة في تلك المدينة ، وبموجب عقد ضامن .

هذا الطلب البسيط في حدّ ذاته ، كان سبباً في ألاّ يتمكّن الكثيرون من اللحاق للحصول علىٰ الأمشاط ، والشوابك ، ونقوش ، وزخارف (نه شميل) البديعة . . إنتظروا . . طال بهم الأنتظار . . غير أن ذلك المكان ، لم يشهد وجه (نه شميل) ، ولا وجه لبّابتها المطرّزة بعد ذلك التأريخ مطلقاً .

**الصورة الثانية : –**

أحد المطاعم الكبيرة في المدينة ، بدأ يتململ . . ينفضُ عن نفسه غبار الركود . . وقد آزدان ، وارتدىٰ حلّةً جديدة . . غمره إحساس بأنّ ثمّة حركة ، وحياة ، أخذتا تدبّان بين أرجائه . . ضمّ إليه عدداً من الشباب النشط ، يتراوح ما بين الثلاثة ، أو الأربعة ، مع بعض العمال ممّن هم أقدم منهم . . كوّن منهم نواةَ مجموعة متآخية ، يجمعها حبّ العمل ، والتفاني فيه . . بالرّغم من أنّ هذه المجموعة لم تكن لتعبأ – كثيراً – بأقوال مَنْ كانوا محسوبين علىٰ المطعم ، إلاّ أنّها كانت – طوال الوقت – مشغولةً بالعمل الدؤوب في سبيل منفعة المطعم ، بصمتٍ ، ودونما أيّة ضجّة ، أو تذمّر .

أمّا حصيلة هذا العمل المضني ، فقد كانت تعود بالربح الوفير الذي يأخذ طريقه – في نهاية الأمر – إلىٰ جيوب صاحب المطعم ، أكثر من أي وقت مضىٰ ، عزّ عليه أن تفلت هذه الفرصة الثمينة من بين يديه . . راودته نفسه الجشعة أن يستغلّها أبشع استغلال ، كي يجني من ورائها أقصىٰ ما يستطيع من الأرباح . . لذا فكّر في أن يصعد علىٰ اكتاف هؤلاء ، وأن يضرب ضربته ، ويستغني عن أولئك الذين كانوا علىٰ علم بدخيلة نفسه الجشعة ، وتصرفاته السابقة ، تحت غطاء جهود هؤلاء وتفانيهم في العمل . . وبصريح العبارة : أن يضرب عصفورين بحجر .

نيّته المبيّتة هذه غيّرتْ من لهجته في الكلام ، فصيّرتها أكثر عذوبةً ، وطلاوة . . بعد أنْ استبقاهم علىٰ كرسيّ قبالته وجّه إليهم الكلام :

– في حقيقة الأمر ، إنّني مزمعٌ علىٰ أن أضع مطعمي هذا تحت تصرّفكم ، أنتم الأربعة . . لأنّه تبيّنَ لي – خلال هذه المدّة – بما لا يقبل الشكّ بأنكم تتصفون بصفات يندر وجودها في غيركم . . إنّكم تتحلّون ، بالأمانة ، والأخلاص ، وحبّ العمل ، والنظافة . . إنكم لستم كبقية العمال ، وأنّ هناك بوناً شاسعاً بينكم ، وبينهم . إنتظر برهة . . كان يمنّي نفسه ، ويتطلّع – خلالها – أنْ يسمع منهم كلمة (نعم) . . غير أنّها لم تطرق سمعه . (كاوه) الذي إلتقط بمؤخرة عينيه قرارات الثلاثة الآخرين دفعةً واحدة ، ومن ثمّ مزجها بما أزمع عليه هو في قرارة نفسه ، فإنّ صاحبنا ، سرعان ما تفهّم لهجته في الجواب ، أوضح من أقرانه : –

– ولماذا نحن الأربعة بالذات ؟ !

وماذا بشأن الآخرين من إخوتنا ؟ بوجهٍ عابس متغضّن ، مطّ صاحبنا مالكُ المطعم شدقه : –

– أنتم لا تعرفونهم . . أولئك . . و . . . و و و . . بعد مصّة

غاضبة ، وطويلة من سيجارته . . سوف أملّككم أموالاً وفيرة . . أجعل منكم رجالاً بحقّ ، وحقيق ! . . أضع المطعم تحت تصرّفكم . . إنّني أعلم بأنّكم أهلٌ لذلك . . سوف أجعلكم في منزلة أولادي ! ! . . ولكن حذارِ ، ثمّ حذارِ . . ينبغي ألاّ يصل ما قلته إلىٰ مسامع أحد . . وسوف لن يتجاوز نهاية الشهر حتىٰ أكون قد منعتهم من المرور من أمام المطعم أيضاً . . والآن ماذا تقولون ؟

– . . . .

– **ها . . ماذا قلتم ؟**

– . . . . .

لم تمرّ سوىٰ فترة لا تتجاوز الأسبوعين حتىٰ بدأ الزبائن بالاستفسار عن (كاوه) ، و (آزاد) ، و (دلير) ، و (كاكا رسول) . . أمّا العمال ، فقد كانت علامات التأثّر بادية علىٰ وجوههم .

**الصورة الثالثة :**

في أحد المعامل الأهلية ، كان عددٌ محدود من العمال هم الباعث الرئيسي في زيادة النشاط ، والحركة . . وقد تمكّنوا من تقوية الأواصر فيما بينهم ، وبين العمال القدامىٰ بشكل أمتن . . وفي المقابل ، فإنّ اولئك أيضاً ، كانوا ينظرون إليهم بعين التقدير ، والأحترام ، ويبادلونهم مشاعر المودّة ، والأخلاص ، خلال أحاديثهم الطافحة بالحلاوة ، واللطف .

إنّ هذه المجموعة من العمال ، لم تكن لتألوَ جهداً في إنجاز الأعمال التي كانت تُعهد إليها يوميّاً ، دونما تلكّؤٍ ، أو تذمّر . . لم يكن أفرادها يعرفون معنىً للتأخر ، والانقطاع ، اللّهم إلاّ إذا اقتضتِ الضرورة القصوىٰ ، أو إذا جدّ ظرفٌ طارئ ، كالمرض ، أو تعزيّة أحد الأقارب . . كانوا قليلي الكلام . . كثيري البذل ، والعطاء . مكثوا فترة من الزمان . . بعثوا – خلالها – الغبطة ، والسرور في قلوب العمال ، وفي زوايا المعمل ، ومفاصل الآلات .

بعد مضي مدة . . أخذتِ الشائعات تتردّد هنا ، وهناك . . رنّ صداها في أذن صاحب المعمل . . مفادها : إنّ (كاكه حمه) ، ورفاقه يزمعون العودة إلىٰ ديارهم . . .

إضطرّ ، أن يأخذ أمر إقناعهم ، وتطمينهم علىٰ عاتقه . . أن يرشيهم بمعسول الكلام .

لهذا الغرض ، كان يرسل في طلبهم ، واحداً بعد الآخر إلى غرفة الأدارة : –

– كلّ ما تحتاج إليه ، من مالٍ ، ومن نقود . . أيّةُ مساعدة تطلبها منّي في هذه المدينة ، فأنا رهن إشارتك . . سوف أضاعف لك أجورك . . إنْ أردتم فسوف أفتح لكم مطعماً ! ! . .

المخصّصات ، الصيانة ، وكلّ ما تنصّ عليه قوانين العمل . . فقط شريطةَ أن تتراجع عن قرارك . . أنْ لا تتركنا . . سوف أمنحك الأجازات وقتما تشاء . . لا تَعُدْ . . لا تتركني . .

– كلّ هذه ، وكثير غيرها ، سوف لن تقف حائلاً دون عودتي .

كلٌّ واحدٍ منهم كان يصدع يافوخ صاحب العمل ، بمطرقة جوابه القاسي هذا ، فيظلّ صاحبنا مشدوهاً ، وتظلمّ الدنيا بعينيه . .

بذل كلّ ما في وسعه ، وآستنفد كلّ ما لديه من وسائل ، كي يُقنع واحداً منهم ، وأنْ يفهمه بأنّ أحد رفاقه قد استجاب لندائه ، ووافق علىٰ البقاء ، غير أنّهم جميعاً قد أحالوا محاولاته هذه هباءاً منثوراً . . وإذ غادروا عائدين إلىٰ ديارهم ، فإنّ العمال كانوا حزانىٰ ، مهمومين ، أكثر بكثير من المعمل ، وربّ العمل .

**الهامش :**

**(١) اللّابة : ترجة لكلمة (جاروكه) .**

**هذه القصّة منشورة في العدد الثاني من مجلّة (الكاتب الكرديّ) لسنة ١٩٧٩ .**